الفصل الحادي عشر

البلاد الرئيسة وتنوعها

في أثناء الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، كانت لانكا شاير، في شمال شرقي إنجلترا، تعرف بـ «ورشة العالم». إذ كان عدد المكائن التي تهدر فيها صباح مساء يفوق عدد المكائن في العالم أجمع. واليوم، أنشئت ورشة أخرى في العالم غرب المحيط الباسيفيكي. تمتد عبر ساحل الصين الشرقي، من داليان في الشمال الشرقي، حتى بيجينق وتيانشين في الشمال، ثم إلى شانغهاي وسوزو في الجنوب، ثم تمتد بعيدًا ناحية الجنوب حتى قوانقزو وشينزو عند الحدود مع هونغ كونغ.

قد لا يكون التحول التاريخي من نظام شيوعي معزول، إلى مصدر للألعاب والأحذية، ثم إلى مسبك لأرقى تقنية في العالم، واضحًا. فعندما تقود سيارتك عبر ناطحات السحاب التي تزين سماء منطقة بودونق الجديدة التي تتقاطع مع بوند في شانغهاي، سوف تشاهد المصانع الجديدة التي تنتصب شامخة على امتداد البصر. فتلك هي شركة (Intel) تصنع رقاقات مترفة. ثم إلى أسفل الشارع، غير بعيد عنها، تنتصب شركة (Corning) التي تنتج وحدات طاقة ضوئية متطورة وخزفًا لتغطية المحولات الكهربائية. ثم هناك شركة (Mat-sushita) اليابانية التي تصنع شاشات العرض الحساسة. ثم شركة (Alca-tel) التي تنتج كل شيء في مستودعاتها – من أنظمة التحويل الرقمية إلى معدات المؤتمرات عبر الفيديو(*). كما نقلت الشركة فروعها الآسيوية –

(*) مؤتمرات تواصلية تعقد بين أشخاص تباعد بينهم مسافات متباينة (عبر القارات مثلاً) لكن يرتبط بعضهم بالبعض الآخر عن طريق شاشات تلفازية (المترجم).

obeikandl.com

الباسيفيكيــة إلى شانغهــاي أيضًــا؛ لأنها لا تستطيع أن تفكــر في أي شيء تعجز (Alcatel) عن عمله في الصين.

أما فيما يتعلق بالمنافسة الاقتصادية العالمية، فالأمر يعني ببساطة شديدة ضــرورة امتلاك حضور صناعي رئيــس في الصين؛ لأن منافسك موجود أساسًا هنــاك. فالقــدرة على عمل كل شــيء تقريبًا في الصين بجودة عاليــة، وبأسعار معقولــة، ثــم تسويقــه إلى عملاء قريبين وبعيديــن على حد ســواء، تركت أثارًا كبيرة في منظومات التعاون في كل ركن من أركان العالم.

يضاف إلى هذا كله، لقد وجدت الشركات المتعددة الجنسيات القوى العاملة الصينيــة ليست متوافرة ورخيصة فحســب، بل متعلمة ومؤدبة ومنظمة ومدربة أيضًــا. فللبلاد معين لا ينضب من المواهب الشابة في مجال الأعمال والهندسة، تستطيع الشركات أن تنهل منه باستمرار. واليوم، صار مزيد من الطلاب الذين يدرسون في الخارج يعودون إلى بلادهم أكثر مما كان يحدث قبل عشر سنوات، ويشكل الطلاب الصينيين اليوم العدد الأكبر بين جميع الطلاب الأجانب الذين يتخرجــون سنويًّا في الهندسة والأنظمــة العلمية في جامعات الولايات الأمريكية المتحــدة. فعدد الطــلاب الصينيين الذيــن يتخرجون في المدارس التجارية في أمريــكا وأوروبا، هم الأكثر مقارنة بطــلاب أي بلاد أخرى في المجال ذاته. فمع انغماس الاقتصاد الصيني في العولمة، ازدادت الحاجة إلى مواهب أكثر كفاءة، مسلحة بخبرات ومهارات عالمية.

ومن اللافت للنظر حقًّا، أن نجد الصين اليوم مقسمة إلى اقتصاد تنافسي يكمل بعضه بعضًا "الدول المتحاربة" تمامًا كما كانت قبل ألفي عام مضت، قبل أن تتوحــد في عهد سلالة كين (Qin) بين تلك "الدول المتحاربة" الاقتصاديات الأربعة الفرعية التي ظهرت من شمال البلاد حتى جنوبها:

- المنطقة الصناعية المركزية القديمة شمال شرقي الصين، التي تمثل مع ساحل مدينة داليان، حلقة وصل بين ثلاث محافظات، هي: لياونق، جيليان وهيلونقشيانق.
- رواق بيجينق – تيانشين لتقنية المعلومات (IT) في شمال الصين.
- دلتا نهر يانقتيز التي تعرف بـ (منطقة شانغهاي الكبرى) مع سوزو التي تمثل مركزها الصناعي لتقنية المعلومات (IT).
- دلتا نهر بيرل، التي تضم هونغ كونغ، ماكاو، قوانقزو وشينزين، وتشكل مركز العالم لصناعة تقنية المعلومات (IT).

في حين حقق شمال شرقي الصين كل ذلك الزخم، فصار القطب الرابع للتطور الاقتصادي الصيني فعلًا، تحولت الثلاث مناطق الأخرى إلى مكائن حقيقية تدفع عجلة الناتج الوطني المحلي للأمام. فعلى الرغم من أن عدد سكانها يمثل (7.53%) فقط من إجمالي عدد سكان البلاد، ولا تزيد مساحتها على (1.24%) من مساحة البلاد، إلا أن هذه الأقاليم الثلاثة تسهم بـ (30%) من إجمالي الناتج الوطني المحلي، في حين يشكل الاستثمار الأجنبي (73%).

شمال شرقي الصين.. المركز الصناعي القديم:

في الاقتصاد القديم المخطط، كان شمال شرقي الصين أكثر أجزاء البلاد تطورًا في الصناعة والتقنية. إذ كان يحتوي على قاعدة للصناعات البتروكيميائية(*)، الفولاذ والصناعات الثقيلة، ويضم كثيرًا من الشركات العامة. وكانت مقاطعة لياوننق يومئذٍ أضخم مركز صناعي، بعد شانغهاي. ومع ذلك، ظل شمال شرقي الصين يمثل مصدرًا مهمًّا لاقتصاد البلاد الفرعي على

(*) البتروكيميائيات: مواد كيميائية تعزل أو تشق من النفط أو من الغاز الطبيعي، وتستخدم في صناعة اللدائن والخيوط الاصطناعية والمطاط الاصطناعي والأسمدة والمنظفات ومبيدات الحشرات (المترجم).

الرغـم من تخلفه عن النمـو الاقتصادي الحيوي للثلاثـة اقتصاديات الفرعية الأخرى.

أمـا الثـلاث مقاطعـات التـي يضمهـا شرقي الصـين – لياوننـق (41.2 مليـون نسمة)، شيلـين (26.1 مليون) وهيلونقشيانـق (38.1 مليون) التي تمتد مـن الجنوب للشمال – كانـت تاريخيًّا شديدة الاعتـداد بنفسها لاندماجها في بوتقـة واحدة ثقافيًّا، اقتصاديًّا، جغرافيًّا، بشريًّا وسياسيًّا. وحقًّا، لا يوجد على طـول الصين وعرضها مكان تستطيع أن تـرى فيه ذلك الرباط الوثيق والتكافل الصـادق الذي يجمع بـين مقاطعات مختلفة ومنفصلة عـن بعضها بعضًا، كما يحـدث في تلـك المقاطعات الثلاث التـي ترقد شمال شرقـي الصين. وللحقيقة والتاريـخ، يطلق الصينيون على المقاطعـات الثلاث اسم (dongbei) إشارة إلى شمـال شرقـي الصـين، أو (dong sansheng) أي المقاطعات الثـلاث التي تقع شمـال شرقي الصين، بدلًا مـن تسمية كل مقاطعة باسمها (وفي هذا دليل أكيد وحجة بالغة ترمز للوحدة والتكامل والاندماج والتكافل في كل شيء تقريبًا).

مـع إنعـدام القدرة علـى التمييز بـين هذه المقاطعـات الثـلاث، وانعدام الحدود بينها تقريبًا، صارت كل واحدة تكمل الأخرى من خلال ملامح وتأثيرات مميزة. وفي الوقت ذاته، ارتبطت كل واحدة منها ارتباطًا اقتصاديًّا مباشرًا مع جيرانها القريبين منها. وبشكل عام، صارت لمقاطعة لياوننق علاقات اقتصادية وثيقـة مع اليابان، ومقاطعـة شيلين مع كوريا الجنوبية، فيمـا ارتبطت مقاطعة هيلونقشين اقتصاديًّا مع روسيا.

وبكل تأكيد، يشـكل شمال شرقي الصين بوتقة انصهار جغرافية، بشرية، سياسيـة، اقتصادية واجتماعية، تصهر كل شيءٍ لتصير أحد أهم موارد البلاد الاقتصادية الفرعية.

بخلاف بقية أجزاء البلاد الأخرى، يدرس كثير من طلاب المدارس الثانوية في الإقليم (الشمالي الشرقي) اللغة اليابانية أو اللغة الروسية كلغة أجنبية بدل اللغة الإنجليزية. كما أن اللغة الكورية تنتشر أيضًا على نطاق واسع وسط نحو مليوني كوري يقطنون ذلك الإقليم. أما اللهجة الصينية التي يتم تداولها هناك، فتشكل إحدى أكثر اللهجات شبهًا باللهجة المندرينية، مع اختلاف طفيف في النبرة التي تميز مواطني ذلك الإقليم.

شمال شرقي الصين / مقاطعة لياوننق واليابان:

يعود تأثير اليابان في شمال شرقي الصين إلى ثلاثينيات القرن الماضي، عندما طالب أباطرة اليابان بحقهم في مانشوكو (الدولة المنشورية) التي كانت أشبه بالألعوبة في أيدي الآخرين من أي شيء آخر. حدث ذلك في عهد الإمبراطور بوي (Puyi) الذي كان ألعوبة أيضًا، لا يملك أمر نفسه وليس له من الاستقلال غير اسمه. وفي ثمانينيات القرن الماضي، تبنت الصين سياسة الباب المفتوح والإصلاح الاقتصادي، فاستعاد الاقتصاد الياباني دوره المؤثر. وتعد اليابان اليوم أحد أهم الشركاء التجاريين للصين. إذ يوجد ثلث استثمارات الأولى في الأخيرة، حيث تتركز بشكل أساس في منطقة داليان. وتمثل داليان هذه، التي هي مدينة ساحلية عند الطرف الجنوبي لشبه جزيرة لياودنق في مقاطعة لياوننق، ميناء الدخول لشمال شرقي الصين. وتعد إحدى أضخم الموانئ وأكثرها حركة، إذ ينقل عبرها (60) مليون طن من البضائع سنويًّا. ومن المثير للاهتمام هنا، أن هذا الميناء يشتمل على نظام إدارة شبيه بالنظام السنغافوري في إدارة الموانئ وسط عدد من شركات الاستثمار اليابانية. انظر الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب لتفاصيل أوفى حول هذا الموضوع.

وفي حين ابتليت الأجزاء الأخرى من الإقليم الشمالي الشرقي، مثل شينيانق، عاصمة مقاطعة لياوننق بإفلاس شركات القطاع العام العاملة في

مجـال الصناعات التقليدية الثقيلة التي بنيت علـى أساس النظام الاقتصادي المركـزي القديم، في هذه الظروف، نجد أن مدينة داليان تقف شامخة كواحدة مـن أهم رموز الاقتصـاد العالمي في الصين. ومن المدهش حقًّـا أن تحل داليان في المرتبـة الرابعـة في قائمة أفضل المدن التجارية الصينيـة لعام 2005م، التي صـدرت عـن (Forbes) (الطبعة الصينية) إذ تقدمت حتـى على بيجينق التي حلـت في المرتبـة الخامسة، وقد احتلت هانقزو المرتبـة الأولى، تلتها ووكسي ثم شانغهاي في المرتبة الثالثة.

بعـدد سكانهـا الذي يبلـغ (5.5) مليون نسمـة، ارتفع مستـوى مساهمتها في النـاتج الوطني القومي عـام 2004 م، لنحو (12.5) بليـون دولار أمريكي، ساهمت فيـه (800) شركة من الشـركات المتخصصة في التقنية العاليـة الجودة بأكثر من النصف. وتعد المدينة الأكثر نموًّا اقتصاديًّا في خليج بوهي. وينتظر أن تصير قريبًا مركزًا استثنائيًّا لبرامج الحاسوب في كل شمال شرقي آسيا حسبما ترى (Forbes).

ربمـا يعزى تطور مدينـة داليان من مينـاء صناعي قـديم، متخلف وقذر، إلى إحـدى أكـثر العواصم الإقليمية جمـالًا وازدهارًا، إلى حـد كبير لعمدتها بو شيلـي (Bo Xilai). لقد بذل هـذا العمدة صاحب النظـرة البعيدة والشخصية الفاتنـة المؤثرة، ابن المحارب القديم، قائد الحزب الشيوعي الثوري، بو يبو (Bo Yibo) كل ما في وسعه ليرتقي بمدينة داليان إلى مصاف بقية مدن البلاد ومدن العـالم المتطورة الأخرى خلال مدة ولايته التي لم تزد على ثماني سنوات. فنجح في تحويـل المدينـة إلى أفضل مدينة في الصين، تتمتـع ببيئة نظيفة، أفضل مناخ إستثماري وأعلى مستوى معيشة في سائر البلاد.

لقد صرح العمدة بو (Bo) الذي رقي فيما بعد إلى حاكم لمقاطعة لياوننق، ويشغـل اليـوم منصب وزير التجارة، قائلًا: "تشـكل داليان مع شانغهاي إحدى أهـم دعامـات الاقتصاد في الصين[1]". ولهذا فلا غـرو إذا شهدت الاجتماع

السنـوي الخامس لـوزراء الاقتصاد في الدول الآسيويـة والأوروبية في يوليو من عام 2003م.

لقـد وصفها كينيشـي أوهمـاي (Kenichi Ohmae) بوصفهـا مدينة ذات بيئـة جميلة، مبـانٍ رائعة وشوارع نظيفـة، تمامًا كتلك المـدن الفرنسية الرائعة التي ظهرت قبل عصر السيارات، تفخر بتقنيتها العالية، إذ تضم ثلاثة معاهد وطنيـة للتنمية التقنيـة وأكثر من عشر جامعات ومعاهـد أبحاث. وقد زاد عدد الشركات الأجنبية فيها مؤخرًا على (12.000) شركة، بينها أكثر من (4.000) شركـة يابانيـة [2]. ويزيد عدد الاستثمارات الأجنبيـة فيها على نصف إجمالي الاستثمارات الأجنبية في مقاطعة لياوننق كلها.

بسبب قرب مقاطعة لياوننق من اليابان، إذ لا تستغرق الرحلة بينهما أكثر من أربع ساعات طيران فقط، وانتشار اللغة اليابانية بين عدد كبير من سكانها – يقـدر عدد الذين يتحدثـون اللغة اليابانية فيها بطلاقة بأكثر من (70.000) نسمـة – بسبـب هذا كله، ليس غريبًا أن يفد المستثمـرون اليابانيون إلى مدينة داليـان زرافات ووحدانًا. ولهذا شبه بعض مديري الشركات اليابانية أن داليان لليابـان، تمامًا كمدينة مكسيكو للولايات الأمريكيـة المتحدة: "منطقة صناعية رخيصة قرب المكتب الرئيس".

قد عزوا اتخاذهم قرار الاستثمار في داليان لجودة قوتها العاملة، انخفاض أسعار العقارات وانخفاض أجور العمال. ونتيجة لهذا، يعمل أكثر من (100.000) عامل مؤهل ومدرب على مستوىً عالٍ في شركات التقنية اليابانية في داليان حيث يعيشـون. كما اتخذ منهـا آلاف المديرين اليابانيين سكنًا لهـم. وتشمل الشركات اليابانيـة الرئيسة التي تشغـل العمالة الصينية في داليـان اسماءً كبيرة مشهورة مثل (Marubeni)، (Toshiba)، (Matsushita)، (Canon)، (Mabuchi Motor).

على صعيد آخر، لا يشك في أنه يصعب على العمالة اليابانية المكلفة التغلب على الإنتاجية الصينية، الأمر الذي شكل عقبة أساسية أمام المحافظة على علاقات تعاونية تنافسية وتحسينها. وهنا يأتي دور انتشار اللغة اليابانية وسط سكان داليان ومقاطعة لياوننق والروابط الثقافية بين الجانبين، في تحفيز الشركات اليابانية لحل المشكلة. وقد أثبتت بعض الإجراءات التي اتخذت في داليان، كالاهتمام باللغة اليابانية وتطوير الإدارة وخدمات الهاتف، نجاحًا باهرًا في تدفق العمالة إليها.

بسبب روابطها الوثيقة مع اليابان، ينتظر لمقاطعة لياوننق، خاصة عاصمتها داليان، أن تصير القوة الحقيقية التي تقود الصين في مجالي التسويق والبيع مع اليابان، التي تعد ثاني أضخم سوق في العالم.

شركة داليان للنقل البحري:

في عام 1989م، صنفت الحكومة الصينية داليان بوصفها واحدة من بين الموانئ الأربعة العالمية الأعمق مياهًا. لها دور كبير جدًّا في الاستثمار الاقتصادي الياباني وتديره سنغافورة التي اكتسبت شهرة واسعة بوصفها واحدة من أفضل دول العالم التي تدرك فن إدارة الموانئ بفعالية رائعة. وبسبب تزويده بخبراء سنغافوريين ومعلومات وأدوات تقنية على قدرٍ عالٍ من الكفاءة، تفوق ميناء داليان اليوم على ميناء اليابان من حيث الإدارة وحركة النقل.

أسست المدينة في يوليو من عام 1996م، شركة متحدة بين شركتي داليان للنقل البحري المحدودة (DCT) وشركة الخدمات العامة (PSA) المحدودة السنغافورية برأس مال قدره خمسمائة مليون دولار أمريكي. وفي عام 1997م، أخذت شركة (DCT) من شركة (PSA) نظام عمليات النقل الموحد، فغدت أفضل شركة نقل على مستوى الصين كلها. وفي عام 2000م، أطلقت شركة

(PSA) خدمات نقل بحرية إلكترونية، مبرمجة على نظام الحاسوب أكثر تطورًا تقنيًّا من تلك التي توجد في اليابان، فتخلصت شركة (DCT) من الرتابة المملة للنقل والإدارة التي لم تعد تستغرق أكثر من ثلاثين دقيقة فقط.

وكأفضل بوابة لشمال شرقي الصين للعالم اليوم، تشتمل على خمسة مراسٍ للسفن – كل واحد بطول (1.459) مترًا وعمق (14) مترًا – تستطيع شركة (DCT) استيعاب الجيلين الرابع والخامس من سفن الشحن بسعة تزيد (1.5) مليون وحدة مكافئة.

تمتلك شركة (DCT) اليوم أكثر من أربعين خط خدمة عالمي تغطي اليابان، كوريا، هونغ كونغ، تايوان، جنوب شرق آسيا، الشرق الأوسط، البحر الأحمر، البحر الأبيض المتوسط، أوروبا وسواحل الولايات الأمريكية المتحدة الشرقية والغربية. ويربطها بالعالم أكثر من (170) خط اتصال بها يوميًا طلبًّا لخدماتها. كما يتصل بها أكثر من (40) خط شحن أنشأت فروعًا لها في داليان.

صناعة أنظمة الحاسوب في داليان:

بعد أن عملت المدينة على تغطية أكثر من (40%) من مساحتها بالنباتات والأعشاب والأشجار، حولت داليان نفسها اليوم من مدينة شديدة التلوث بسبب كونها قاعدة للصناعات الثقيلة، إلى مدينة خضراء. وقد ساهم تطور صناعة أنظمة الحاسوب في هذا التغير المثير بشكل كبير. فقد استثمرت شركة داليان للتقنية المتطورة (40) مليون دولار أمريكي في تطوير أنظمة الحاسوب، قدمتها شركات يابانية وأخرى كورية جنوبية. ومنذ إنشائها عام 1998م، ضمت شركة داليان لأنظمة الحاسوب، التي تعد واحدة من إحدى عشرة شركة عامة أعلنتها الصين تمثل قاعدة أساسية لصناعة أنظمة الحاسوب، ضمت (140) شركة، (32%) منها ممولة أجنبيًّا. وقد حققت عام 2002م، (96) مليون دولار أمريكي بالإضافة إلى (25) مليون دولار من أرباح الصادرات.

بسبب موقعها الإستراتيجي قرب كثير من الجامعات ومعاهد الأبحاث، صارت شركة داليان لأنظمة الحاسوب مغناطيسًا لجذب كل النشاطات الخاصة بتطوير أنظمة الحاسوب، تمويل الأعمال التجارية وتطوير خدمات تقنية المعلومات. وقد أنشأت اليوم ست عشرة شركة عالمية تتكون من اتحاد (500) شركة، تشمل: ( )، (NEC)، (SAP)، (Dell)، (HP)، (GE)، (IBM)، (Toshiba)، (Sony)، (Matsushita) و (Accenture)، مراكز لها في داليان للعمل في شمال آسيا والعالم.

تهدف الشركة إلى أن تكون أكبر مصدر لأنظمة الحاسوب في الصين، ولتوفير التدريب على الحاسوب، تعاقدت شركة داليان لأنظمة الحاسوب، بتشجيع من الحكومة الصينية، عام 2004 م، مع شركة (IBM) لتطوير حلول عملية لتنمية القوى البشرية العاملة. ويهدف برنامج التدريب الذي ابتكرته شركة (IBM) للخدمات العالمية وتشرف عليه، لتأهيل بين (1.600) إلى (5.000) عامل بحلول عام 2010 م، وساعتئذٍ تسلم (IBM) إدارة البرنامج لشركة داليان لأنظمة الحاسوب.

اقتصاد خليج بوهي:

تشكل داليان ولياوننق جزءًا من اقتصاد خليج بوهي الهائل، الذي يضم أجزاءً من مقاطعات لياوننق، شاندونق، هيبي، شانكس، إقليم منغوليا الداخلي المستقل ومدينتي بيجينق وتيانشين الضخمتين. يقطنه (240) مليون نسمة – (20%) من إجمالي سكان الصين – تشكل مساحته (12%) من مساحة الصين. يشكل اقتصاده (25%) من إجمالي اقتصاد البلاد وتجارتها الخارجية. يبلغ طول ساحله (5.800) كيلومترٍ، تتجمع حوله نحو عشرين مدينة أساسية، ويضم أربعة موانئ بحرية ضخمة – داليان، تيانشين، كنقداو وكنهوانقداو.

كما يضم أكثر من ستين ميناءً أخرى من مختلف الأحجام، اختيرت أربعة منهـا ليتم تطويرها لتصير موانئ عالمية حديثة – ينقكوا، شنقكسي، هوانقهوا وتانقشان.

يمكـن تشبيه منطقة خليج بوهي ببحر البلطيق في أوروبا، إذ يوفر مدخلًا إستراتيجيًّـا يطل على المحيـط الباسيفيكي لكل شمـالي الصين، ويشكل مركز اقتصاد منطقة شمال شرقي آسيا. وقد جذبت دلتا نهر يانقتيز ودلتا نهر بيرل اهتمـام العالم كلـه بسبب سرعة نمو اقتصادهما المدهشـة. ولا بد للإنسان أن يتسـاءل مندهشًـا: «إذن، مـاذا يحدث في دلتـا (النهر الأم) الأكـثر إهمالًا في الصـين – النهر الأصفـر؟». وقد احتل اقتصاد خليج بوهـي المرتبة الثالثة بعد اقتصـاد الدلتتين الأخريين في الجنوب، مشكلًا دعامة اقتصادية ثالثة في تطور الاقتصـاد الصيني وماكينة تدفع عجلة اقتصاد شمـال الصين. وتحتوي تربته على (40%) من احتياطي البلاد في الفحم، النفط والحديد. ويسهم الإقليم بـ (40%) من حركة كل سفن الشحن التي تبحر إلى خارج الصين.

في عام 2002م، اكتشفت شركة تيكساكو الصينية، التابعة لشركة شيفرون تيكساكـو الأمريكية حقل نفـط في خليج بوهي. على بعد (150) كيلومترًا جنوب شرق ميناء تيانشـين، تبلغ مساحته (218) كيلومترًا مربعًا، ويعد أضخم حقول النفط فيه، إذ يقدر احتياطه من النفط والغاز بـ (210) ملايين متر مكعب. وقد توصلت شركة الزيت الصينية (CNOOC) التي تعد ثالث أضخم شركة زيت في العـالم، لاتفاق يقضي بتطوير هذا الحقل بالاشـتراك مع شركة تيكساكو. وتعد تلـك المـرة الأولى التي تضطلع فيهـا شركة الزيت الصينيـة بتطوير حقل نفط تكتشفه شركة أجنبية عملاقة.

هكـذا نجد التكامل الاقتصـادي يسير بخطىً حثيثة في خليج بوهي. فمنذ أن تأسـس اتحـاد اقتصاد خليج بوهي عـام 1992 م، لأول مرة من اتحاد (29)

مدينة، توصلت تلك المدن الأعضاء لاتفاقيات تكاملية لتنفيذ أكثر من (1.400) مشـروع اقتصادي بتكلفـة إجمالية قدرت بأربعة ملايـين دولار أمريكي. ووضع نظـام إدارة واحـد للتحكم في حركـة المطارات، الموانـئ والتعرفة الجمركية في مينـاء بيجينق وميناء تيانشين اللذيـن يعدان من أهم الموانئ في الخليج، بحيث يعملان كجزأين يكملان بعضهما بعضًا كميناء واحد. وسوف يكتمل العمل قريبًا في سكـة الحديـد التي تربط مختلف المـدن الرئيسة التي تحيـط بخليج بوهي، ببعضهـا، لترتبـط بذلك مع ثلثي المشـروع الذي أنجز عـام 2003م. ويبدأ هذا الشريـان الحيـوي عند شانهيقوان في مقاطعة لياوننـق في الشمال – الذي كان يشـكل سابقًا نهاية سور الصـين العظيم عبر شمال الصين على طول (4.500) ميل – وينتهي عند يانتي في مقاطعة شاندونق.

شمال شرقي الصين وكوريا:

تشـترك مقاطعة لياوننق في حدودها مع كوريـا الشمالية. فقد كانت تمثل تاريخيًّـا بوابـة الدخول إلى شبـه الجزيرة الكورية. ولهـذا، هنالك تأثير كوري شديد على شمال شرقي الصين بالإضافة للتأثيرين الياباني والروسي.

من جهة أخرى، تشكل الصين موطنًا لأكثر من مليوني أقلية كورية، وفدوا إليهـا مهاجرين خلال مئات السنـوات الأخيرة وقبلها. يعيش (97%) منهم في مقاطعات شمال شرقي الصين الثلاث، حيث يعيش أكثر من (60%) في مقاطعة شيلين وحدها. وفي مقاطعة شيلين هذه يعيش نحو (70%) من السكان في ولاية يانبيان الكورية التـي تتمتع بحكم ذاتي. وهنالك نحو (500) ألف و(230) ألف أقلية كورية تعيش في مقاطعتي هيلونقشيانق ولياوننق على التوالي.

في عـام 2002م، صـارت الصين أكـبر دولة جاذبة للاستثمـارات الكورية الجنوبيـة، إذ بلـغ إجمـالي استثمـارات الأخـيرة في الأولى (2.7) بليون دولار

أمريكـي مسجلة زيادة قدرها (26.4%) عن العـام السابق. بالطبع، زاد حجم التبـادل التجـاري بين الصين وكوريـا الجنوبية بمعـدل (800%) خلال العشر سنـوات الأخيرة، وبسبب الروابط الثقافية التقليدية واللغوية بين كوريا والأقلية الكوريـة التـي تعيش في شمال شرقـي الصين، تتركز معظـم استثمارات كوريا الجنوبية في الصين في الجزء الشمالي الغربي.

ولجـذب مزيد مـن استثمارات كوريـا الجنوبية، ذهبـت عاصمة مقاطعة لياوننـق (شينيانـق) بعيـدًا لتحرص علـى حضور فعاليـات الأسبـوع الكوري السنـوي. لقد استثمرت كوريا الجنوبيـة في شينيانق لأول مرة عام 1989م، قبل أن تقيم بيجينق علاقات دبلوماسية رسمية مع سيئول بثلاث سنوات. أما اليوم، فقـد تجاوز عـدد الشـركات الاستثمارية الكوريـة الجنوبيـة في شينيانق الألف ومائـة شركة، إجمالي استثماراتها (660) مليـون دولار أمريكي، مُشَكِّلَةً بذلك نحـو (10%) مـن جملة الاستثمـارات الأجنبيـة المباشرة فيهـا. وهكذا، حلت كوريـا الجنوبية في المرتبة الثالثة بين (78) دولـة تستثمر في شينيانق. وبين كل الشـركات الكورية الجنوبية التي تستثمـر في شينيانق، هنالك (46) شركة زاد عـدد استثمارات كل منها على خمسة ملايـين دولار أمريكي. أما عدد الكوريين الجنوبيـين الذين يعيشون اليـوم في شينيانق، فقد زاد على (10) الآف مواطن. وقـد أظهـر استطلاع للرأي أجري في شهر يناير من عـام 2003 م، أن أكثر من (60%) من بين الثمانين ألف شركة من الشركات الصغيرة والمتوسطة في كوريا الجنوبيـة، تتمنـى نقل استثماراتها من كوريا الجنوبيـة إلى الصين. وينتظر أن تحظى لياوننق بنصيب معتبر من تلك الاستثمارات.

مقاطعة شيلين ومثلث شمال شرقي آسيا الذهبي:

في مطلـع تسعينيات القرن الماضي، أطلقـت كل من الصين، روسيا، كوريا الجنوبيـة ومنغوليـا مبـادرة طموحـة لتطوير إقليم نهـر تومين، الـذي قيل إنه

سـوف يكون آخر مشروع اقتصـادي عند حدود قارة آسيا. وقـد كسب المشروع دعـم برنامـج الأمم المتحـدة للإنماء على الرغـم من حقيقة تأثـر الإمكانيات الاقتصاديـة للإقليم بالوضع السياسي الإقليمـي الذي ظل غير واضح. ويتكون إقليم نهر تومين من أربع مناطق:

- ولاية يانبيان الكورية التي تتمتع بحكم ذاتى (الصين).
- منطقة راشين – سونبونق الاقتصادية والتجارية (DPRK).
- شرقي منغوليا.
- منطقة بريمورسكي (روسيا الاتحادية).

مقاطعة هيلونقشيانق وروسيا:

تشترك الصين مع روسيا في حدود تبلغ (4.600) ميل، ومن بين المقاطعات المجاورة لروسيـا، تتمتع هيلونقشيانق بمعظم تلك الحدود المشتركة مع الجانب الروسـي، تشمل حـدود نهري هيلونقشيانـق، ويسيليشيانـق اللذين يجريان في شماليهـا وشرقيها على التوالي. وتعني لفظـة هيلونقشيانق: نهر التنين الأسود، إشارة لنهر أمور في روسيا.

هاربن.. موسكو الشرق الأقصى الصغيرة:

تمثـل هاربن، عاصمة مقاطعة هيلونقشيانق عنـد أقصى شمالي الصين، بوابـة تاريخيـة مهمة مـن الصـين إلى روسيا وأوروبـا، وقد تدهشـ ملامحها الروسية كل من يفد إليها زائرًا. وقد ظلت «عاصمة الثلج والجليد» هذه، المدينة الصينيـة الرئيسة الأكثر قربًا للقطـب الشمالي، تعكس التأثـير الروسي الذي شمـل حتى التراث وعادات الطهي. إذ نجد أن الطعام الرئيس في هيلونقشيانق هـو خليط من الزلابية والخبـز والنقانق على الطريقة الروسيـة. ويشبه سكان هاربـن أهـل روسيا، إذ يعـدون أكثر أفـراد الشعب الصينـي إدمانًا على شرب

الفـودكا والبيشيو(*). كما ورثـوا عنهم أيضًا حبهم للبوظـة التي عشقوها منذ عهـد بعيد جدًّا، قبل أن تشيع كوجبـة خفيفة في سائر أجزاء الصين الأخرى في مطلع ثمانينات القرن الماضي.

يلاحظ أن كل صيني تصادفه في الطريق، يتحدث اللغة الروسية بطلاقة، أو يـدرك قواعدهـا الأساسيـة التـي تمكنه من التواصـل بها على أقـل تقدير. وتعرف مدينة هاربن هذه بـ «موسكو الشرق الأقصى الصغيرة»، ويتجلى التأثير الروسـي في هاربـن، إذ يشكل وجـودًا روسيًّا هائلًا ومتصـلًا بوضوح في شوارع منطقـة داولي – التي كانت تمثل قلـب مدينة روسية قديمة تعرف بـ «برستان». حيث يوجد متحف مفتوح للفن المعماري الروسي قبل الحرب، يشمل كل أساليب المعمـار الأوروبي، ولا سيما الطـراز الباروكي(**) المحدث، الطـراز الكلاسيكي والفن الزخر(***).

بفضـل ما حققته الصـين من ثروة مؤخرًا، فقد تمـت المحافظة على هذه المباني وصيانتها بشكل أفضل من نظيراتها في أقصى شرق روسيا.

مـن بين العديد من الكنائـس الأرثوذكسية والأسلـوب الروسي في زخرفة الواجهـات في هذه المنطقـة، تنتصب كنيسة أياصوفيـا الأرثوذكسية التي بنيت على الطراز البيزنطي واكتملت عام 1907م، على أيدي الروس، كأضخم كنيسة

(*) **الفودكا**: شراب روسي مسكر. أما البيشيو فشراب صيني مسكر شبيه بالفودكا الروسية (المترجم).

(**) **الطـراز الباروكي**: أسـلوب في التعبير الفني، ازدهـر في أوروبا من عام 1600 حتى عام 1750م، يتميـز بدقة الزخرفة واتسـاقها، وأحيانًـا بغرابتها، وباصطناع الأشـكال المنحنية في فن العمارة، وبالحيوية والحركية في الرسم، وبالتعقيد والصور الغريبة الغامضة في الأدب، وبالصرامة ودقة التـوازن بين مختلف العناصر في الموسـيقى. وهو ينسـب للرسـام الإيطـالي فيديريكو باروتشي (1528 – 1612م).

(***) **أما الفن الزخر**: أسلوب حديث في فن العمارة وفي الفنون الزخرفية، اكتسب اسمه من «المعرض الدولي للفنون الزخرفية والصناعية الحديثة» الذي أقيم في باريس عام 1925م، من مزاياه: اعتماد الخطوط المستقيمة واستخدام مواد جديدة كاللدائن والحجارة الكريمة (المترجم).

أرثوذكسية في الشرق الأقصى. فتحت الشمس الساطعة قد تذكر الكنيسة والساحة المحيطة بها، الناس بشكل مدهش بالساحة الحمراء في موسكو. ولا تزال هنالك مئات الأزهار من الديانة الروسية الأرثوذكسية في هاربن، كدليل إضافي على التأثير الروسي في المدينة. وينتظر أن يزداد العدد في ظل انفتاح الصين المتصاعد.

يشاطر أهل شمال شرقي الصين، الروس حماستهم وعشقهم لرياضتي التزحلق على الجليد وركوب الثلج اللتين لا تزالان تعدان أنواع رياضة غريبة ودخيلة في بقية أنحاء البلاد. وبفضل منتجع يابولي الأكبر والأفضل في كل البلاد – الذي كان موطنًا ملكيًّا للصيد في أثناء حكم سلالة كينق، الواقع على بعد (194) كيلومترًا إلى الشرق من هاربن، بفضل منتجعها هذا، استضافت مقاطعة هيلونقشيان دورة الألعاب الشتوية الآسيوية لعام 1996م، مما حدا بها للتطلع لاستضافة دورة الألعاب الأولمبية الشتوية عام 2010م – ولن ينافسها في هذا غير فانكوفر وكندا.

من أجل تطوير صناعة السياحة المحلية وتعزيز مهرجانات النحت على الثلج ومنتجعات التزحلق على الجليد، صممت هيلونقشيان شعارًا مناسبًا لترويج صورتها العالمية – «مقاطعة الصين الباردة».

التوجس الروسي من التوسع الصيني:

نتيجة لحملات التوسع الإمبراطوري في الشرق الأقصى في القرن التاسع عشر الميلادي، استولت روسيا على الحدود الصينية إلى الشرق من نهر وسولي، التي تشكل اليوم الحدود الروسية – الصينية المشتركة، فحرمت بذلك مقاطعتي هيولونقشيانق وشيلين من الوصول إلى البحر. والآن انعكس الوضع التاريخي تمامًا. إذ يخشى الروس اليوم أن يؤدي الاختراق الصيني إلى إلحاق

حدودهـم عند أقصـى الشرق بالصين. فهـم يرون أن الصـين تتوسع بطريقة منظمـة في الحدود الروسية عند أقصـى الشرق من خلال نشاطاتها التجارية، تصدير العمالة الرخيصة والاخـتراق الديموغرافي (على الصعيدين، الهجرة القانونية وغير القانونية).

التعاون الصيني – الروسي في مجال الطاقة:

في عـام 1993م، صـارت الصـين مستـوردًا أساسيًّا للنفـط. وبحلول عام 2002م، تفوقت اليابان في هذا المجال لتصير ثاني أكبر مستورد للنفط في العالم، بعـد أن بلغ استيرادها (70) مليون طن في العـام، لتحل بذلك في المرتبة الثانية بعـد الولايات الأمريكية المتحدة تمامًـا. ويعتقد مكتب الطاقة العالمي الذي يتخذ من باريس مقرًّا له، أن نصيب الصين من النفط المستورد في العالم سوف يزداد مـن (34%) عـام 2002 م، إلى (80%) بحلـول عـام 2030م. ساعتئـذٍ، سوف تقـترب كمية النفط التـي تستوردها الصـين من العشرة ملايـين برميل يوميًّا، فتصبح مساوية تمامًا لاستيراد الولايات الأمريكية المتحدة في أثناء عام 2000م.

مـن جهة أخرى، على الرغم من تلـك المخاوف المتبادلة والحذر والتوجس بـين هذين العملاقين القابعين عند أقصى الشرق، إلا أن الصين وروسيا تريان أنه لا بد من التعاون، ولا سيما في مجال النفط، الذي يدعمه الاحتياطي الهائل في سيبيريـا، وتعطش الصين الدائم للطاقة لتلبية حاجة اقتصادها المتصاعد. كانـت مدينـة داكنـق بمقاطعـة هيلونقشيـان تعـد في السابق عاصمـة النفط الصينيـة، غـير أن معينهـا سرعان ما نضـب بعد أربعين سنة مـن الاستغلال. ولهذا، زاد تصدير النفط الروسي عام 2006 م، بمعدل (150%) عما كان عليه عام 2005م، أي من عشرة ملايين طن إلى خمسة عشر مليون طن.

لا شـك في أن معدل تصديـر النفط الروسي إلى الصـين سوف يتصاعد في المستقبـل. ففي عام 2006م، وافق الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (Vladi-

mir Putin) أخـيرًا على مشروع خط أنابيـب النفط الذي يمتد من سيبيريا إلى داكنـق، بعد اثنتي عشرة سنة من المحادثات الشاقة المتواصلة حول المشروع بين الشعبـين. وتعد تلك الأنابيب بمنزلة خط فرعي يمتـد داخل الأراضي الصينية مـن الخـط الروسي الرئيس. قد وافـق الطرفان بشكل أساسـ على نقل النفط الروسـي من شرق سيبيريـا إلى داكنق، بحيث يكون ثلـث الخط داخل الحدود الصينيـة، لكن ظهور اليابان في المعادلـة أدى إلى تغيير الخطط. وبحلول نهاية عام 2002م، صرفت روسيا النظر عن هذا الخط، حسبما يقال، لتقرر بناء خط أنابيـب جديد ينتهي عند مينـاء مدينة ناخودكا في بحـر اليابان. ويعمل الخط الحالي كتسوية للمشكلة بحيث دمج الخطان – خط الصين وخط اليابان – في خط واحد، مع إعطاء الأولوية لبناء خط الصين. وقد قدرت تكلفة المشروع الذي يبلـغ طوله (4.130) كيلومـترًا بين (11) و(16) بليون دولار أمريكي. أما سعته الاستيعابيـة السنوية، فيتوقـع لها أن تبلغ (80) مليون طنًـا من النفط. وسوف تبلـغ مشتريات الصين (5.13) بليون برميل مـن النفط الروسي بتكلفة (150) مليـون دولار أمريكي في الفترة بين عامـى 2005 و2030م، يتم نقلها عبر أنابيب النقـل. وتعني هذه الصفقـة أن الحكومة الروسية ربما تؤجـل المشروع الياباني المنافس، علـى الرغم من سعي طوكيو الحثيث لسحب النفط عن طريق خطها. وصرح الكرملين أن بناء خط اليابان، الذي يبلغ طوله (3.800) كيلومتر، ويمتد من سيبيريا إلى ميناء ناخودكا في بحر اليابان، سوف يتم فقط في حال اكتشاف مزيد من الاحتياطي النفطي وتلبية حاجة السوق الصيني.

عندمـا وصلت المفاوضات اليابانية – الروسية إلى طريق مسدود، حققت الصين اختراقًا لعمل خط أنابيب نفط مع جارتها الغربية (كازاخستان) الغنية بالنفـط، التي كانت في السابق إحدى الجمهوريـات التابعة للاتحاد السوفيتي. فاكتملـت المرحلـة الأولى مـن الخط الذي يبلـغ طوله (960) كيلومـترًا ويربط كازاخستـان بمقاطعة شينشيانق في شمـالي غربي الصين عام 2005م، وينتظر

أن تبلـغ سعتهـا الاستيعابية التي تنقلهـا من النفط عشرة ملايـين طنًا سنويًّا. ويتوقـع أن تكتمـل المرحلة الثانية عام 2010م، لترتفع السعـة الاستيعابية بذلك إلى (20) مليون طن في السنة.

التعاون الروسي - الصيني الاقتصادي التجاري:

سجـل حجم التبادل التجـاري بين الصين وروسيا عـام 2005 م، (29.1) بليون دولار أمريكي بزيادة (37.1%) عن السابق. وهكذا أصبحت الصين اليوم رابع شريك تجاري لروسيا، في حين احتلت روسيا المرتبة الثامنة بين قائمة أكبر شركاء الصين التجاريين.

تمثـل الملابس الجاهـزة والأحذية، معظم الصـادرات الصينية للأسواق الروسيـة. كما تشهـد الشركات الصينيـة، كشركـة (TCL) لصناعة الأجهزة المنزليـة وشركة (Huawei) للاتصالات الهاتفيـة، على زيادة تقاسم منتجاتها مع روسيا.

أما الصادرات الروسية للصين، فتنحصر أساسًا في مصادر الطاقة كالزيت الخـام، الذي غالبًا ما ينقل عن طريق السـكك الحديدية، بالإضافة للصادرات من الطاقة الكهربائية من سيبيريا والأقاليم الشرقية المجاورة، وينتظر أن تزيد صادرات روسيا من النفط والكهرباء إلى الصين في المستقبل القريب؛ لأن روسيا تعمـل حاليًا علـى إكمال خط الأنابيب العملاق إلى المحيـط الباسيفيكي مع فرع إلى الحـدود الصينيـة، كما أن شركـة (UES) التي تحتكر بنـاء شبكة خطوط الطاقـة الكهربائيـة، تبني حاليًا بعض محطاتها للطاقـة الكهربائية المائية، وفي ذهنها نظرة مستقبلية لتصدير الطاقة الكهربائية إلى الصين.

وبحكم روابطهمـا الجغرافيـة، السياسية، البشريـة والاقتصادية، يكمل البلـدان بعضهمـا بعضًا، من حيث احتياجـات كل منهما في المـوارد، الأسواق،

التقنية المتطورة والإستثمار؛ إذ أنشئت في الصين العديد من الشركات الصينية –الروسية التعاونية المتخصصة في العلوم والتقنية. كما تتواصل الجهود الحثيثة الآن لإنشاء شركة صينية– روسية للعلوم والتقنية في موسكو.

بسبب موقعها الجغرافي الذي جعلها قريبة من روسيا، وإرثها الروسي الفريد، تطمح مقاطعة هيلونغشيانغ لمواصلة دورها كجسر للتواصل التجاري بين روسيا والصين.

مفاوضو الشمال الشرقي:

بكل تأكيد، اعتمادك على تناول القمح أكثر من الأرز، يجعلك طويلًا، كما قد يجعلك أكثر صراحة. تلك هي الفكرة السائدة في ذهن سكان الجنوب عن جيرانهم رجال الأعمال في الشمال الشرقي. فالمفاوضون الذين ينتمون إلى المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث التي تقع أعلى نهر يانغتيز، هم بكل تأكيد صناعيون ورجال أعمال على قدرٍ عالٍ من الكفاءة والتأهيل. كما أنهم أمناء وصريحون لدرجة تكاد تجعل الواحد منهم فظًّا. كما أنهم غير معروفين بسبب استعدادهم الفطري للمخاطرة أو الإبداع. ويعتمدون نظامًا غذائيًّا بسيطًا، يعكس ثقافتهم المحلية بشكل لا مثيل له.

بيجينغ وتيانشين – مركز الصين للأبحاث والتنمية:

في ليلة الثالث عشر من يوليو عام 2001م، في منتصف فصل الصيف، وفي غمرة الحر الشديد، خرج سكان العاصمة الصينية (بيجينغ) مع جموع سكان البلاد، لقضاء ليلة ساهرة ابتهاجًا بنجاح بلادهم في استضافة دورة الألعاب الأولمبية الصيفية لعام 2008م، وقد شاب احتفالهم الكثير من الهرج والمرج والتبذير في ظل النشوة والحيوية التي ملأت أنفسهم – فرقصت الأسود والتنانين في ساحة تيانانمين، واستخدمت الألعاب النارية لإضاءة النوافير بألوان

زاهيــة تنطلق أمــام مختلف المحال التجارية في المدينة مضيئــة السماء. وانطلق الناس بسياراتهم الصاخبة في الشوارع ضاغطين على أبواقها ملوحين بالأعلام والقمصــان حول المدينة، حتى السياسيين، خرجــوا على أعلى مستوى واصطفوا وحناجرهم تعلو بالهتاف، معلنين ترحيبهم بالألعاب الرياضية العالمية.

انكبــت بيجينق اليوم في برنامج معمار واستثمار مثير للدهشة والإعجاب، استعــدادًا للألعــاب. إذ تخطط لإنفاق (34) بليــون دولار أمريكي على الألعاب الأولمبية خلال السنوات التي تسبق عام 2008م، منها (22) بليون دولار تصرف علــى تحديث العاصمة وتسهيل شبكة المواصلات فيهــا. ولا شك في أن مثل هذا المشروع ينطوي على فرصة واعدة بجذب مستثمري العالم.

بخــلاف ما يحــدث من تنمية اقتصاديــة تلقائية، وظهــور المدن الجديدة والتفافهــا حول دلتا نهر يانقتيــز ودلتا نهر بيرل، اكتسب اقتصاد إقليم بيجينق – تيانشين (الذي يزيد سكانه على 26 مليون نسمة) شكله الحالي بدعم النظام السياســي الحالي ومساعدة الأنظمة الاجتماعيــة السياسية القائمة اليوم التي مكنت موارد الشعب، وحتى موارد العالم، من التكدس حول منطقة العاصمة.

وقــد استفاد تطوير وسط العاصمة الذي يمثل قلبها التجاري، زونقوانكون (وادي السيليكــون في الصين) والقرية الأولمبية من الخلفية السياسية والثقافية المتميزة التي تتمتع بها بيجينق بوصفها عاصمة للبلاد.

مركز الأبحاث والتنمية والصناعة التقنية المتطورة:

علــى العكس من دلتا نهر يانقتيز ودلتا نهر بيرل، اللتين اشتهرتا كـ «ورشة العــالم»، ينتظــر أن تصير منطقــة بيجينق – تيانشين «مركــز العالم للأبحاث والتنمية»، إذ تعرف حاليًا، بالإضافة لمركز بيجينق للأبحاث والتنمية وتيانشين، كقاعــدة للتصنيــع والإنتاج بـ «مركز الصين لتقنيــة المعلومات». كما تعد نسخة

الصين المطورة من وادي السيليكون (زونقوانكون) مقرًّا لنحو خمسة آلاف شركة من الشركات الصينية المتخصصة في التقنية المتطورة، وتشمل أسماء شركات عملاقة، كشركة (Lenovo)، بالإضافة لأكثر من ألف شركة عالمية من الشركات العاملة في هذا المجال. وهو التقاء مدهش بين التقنية المتطورة والمنتجين، مع أكثر من سبعين جامعة، بما فيها جامعة بيكينق وجامعة تسينقهوا اللتان تعدان بمنزلة جامعة هارفارد وجامعة (MIT).

يدرس في هذه الجامعات صفوة المجتمع والقادة الذين بزوا كثيرًا من متخرجي المدارس الثانوية العليا عبر سلسلة من الاختبارات الصارمة والدقيقة منذ لحظة التحاقهم بالمدارس الابتدائية، ويتم اختيارهم عن طريق نظام جامعي تنافسي دقيق. وقد وصف البروفيسور ليو شيدينق (Liu Shiding) من جامعة بيكينق ذلك قائلًا: "عندما نتحدث عن مواردنا من المواهب، فهذا هو أكثر الأماكن احتشادًا بالطاقة الذكية، وأكثر الأماكن نشاطًا وحيوية بين مراكز الأبحاث والتنمية في كل أرجاء البلاد".

ويعمل في زونقوانكون، وهي مدينة صغيرة، نحو خمسمائة ألف باحث ومتخصص في التقنية، وظف كثيرون منهم في أكثر من مائتي معهد أبحاث للعلوم والتقنية، بينها معاهد ذات قدرات وكفاءات عالية ضمن الأكاديمية الصينية للعلوم، كمعهد الهندسة الكهربائية، معهد الإلكترونيات، مركز الأبحاث والتنمية المتخصص في تصميم الدارات الإلكترونية الصغيرة وصنعها واستخدامها، مركز معلومات الحاسوب، معهد المواد شبه الموصلة للتيار الكهربائي، معهد أنظمة الحاسوب ومعهد حساب التقنية.

قد أنشأت كل تلك المؤسسات الأكاديمية شركاتها الخاصة بها لتحويل نتائج أبحاثها إلى صناعة، ومن ثم تسويق منتجاتها. وفي عام 1980م، كان شين شونشيان (Chen Chunxian) وهو باحث في معهد الفيزياء التابع لأكاديمية

العلـوم في الصين، في طليعة مـن (قفزوا في البحر)، وهـو تعبير صيني حديث يعنـي تـرك العمـل في وظيفة ثابتـة لمـدة طويلة في القطـاع العـام والجمعيات الخيرية، والغوص في بحر الأعمال التجارية المثيرة. فتمكن شين (Chen) الذي عـرف فيما بعد بـ "أبو زونقوانكـون" من تسجيل شركة صغيرة ليدشن عصرًا جديـدًا بما صنعـه من نموذج غير مسبـوق في إقحام العلـوم في إنتاج الأبحاث وتحقيق التنمية والصناعة في الصين.

وبعـد عدة سنوات، سار عـالم آخر من معهد حساب الطاقـة التابع أيضًا لأكاديميـة العلـوم في الصين يدعى ليـو شوانـزي (Liu Chuanzhi) على خطى شـين (Chen) فأسـس شركته الخاصة (شركة الحاسـوب) التي تطورت فيما بعـد لتصـير أضخم شركة في البلاد في مجال الحاسـوب (Lenovo). في حين اندمجـت أضخم شركة في هذا المجال مع جامعة بيكينق. أما جامعة تسينقهوا، فقد أسست شركاتها الخاصة بها في مجال تقنية المعلومات مثل شركة (UNIS) وشركة تونقفانق.

ثم تهافـت المستثمرون الأجانـب الذين جذبتهم كفـاءة العلماء الصينيين والمهندسين علـى زونقوانكون، فأنشأوا مؤسساتهـم البحثية والتنموية الخاصة، مثل (Pa)، (Siemens)، (Nokia)، (Motorola)، (Intel)، (Microsoft)، (IBM)، Fujitsu)، (Hitachi)، (nasonic) و(Acer). ومنذ أن أنشأت شركة (Motorola) أول معمـل أبحاث وتنمية أجنبـي في الصين عام 1993م، تجاوز عدد التسهيلات التي تقدمها البلاد في هذا المجال السبعمائة.

يلاحـظ أن (Motorola) هـي أكبر شركـة استثمارية أجنبيـة متحدة في الصـين، بشـكل لافـت للنظر، ولا يخفـى أن الصين هـي أضخم سـوق للهاتف المحمـول، بـزت في ذلـك حتى الولايـات الأمريكيـة المتحدة. وفي عـام 2001م، بلغـت مبيعاتها (4.9) بليون دولار أمريكي، لتحـل محل شركة (Volkswagen)

الألمانيــة لتصبح الشركة الاستثمارية الأجنبية رقـم واحد في الصين. وقد بلغت استثماراتهـا في الصين منـذ عام 1986م، أربعة بليون دولار أمريكي، في حين بلغ فريق عملها هناك نحو (15.000) عامل وموظف. وتخطط حاليًا لزيادة إنتاجها السنـوي ليبلـغ عشرة بلايـين دولار أمريكي، وتراكـم استثماراتهـا لتبلغ عشرة بلايين دولار. كما تخطط أيضًا لزيادة مبيعاتها في الصين لتبلغ الرقم نفسه.

المنطقة التجارية المركزيـة..
عامل جذب جديد في بيجينق:

غالبًا ما تستعر المنافسة بين مختلف أجزاء البلاد في الصين لجذب انتباه مستثمري العالم والفوز بفرص التصدير. ففي عام 2002م، كشفت بيجينق عن خطة طموحـة لتشييد مبنى «منطقـة تجارية مركزية عالمية» تعـرف اختصارًا بـ (CBD) في قلب منطقتهـا التجارية. ويتباهى مسؤولـو بيجينق بما يمكن أن يكـون لتلك المنطقة من إغـراء منطقة بودونق الجديدة في شانغهاي ذاتها، لكي تنافسها في جذب الاستثمارات المحلية والخارجية.

علـى الرغم من أن مفهـوم المناطق التجارية المركزيـة، ظهر لأول مرة في الولايـات الأمريكية المتحدة في مطلع عشرينيات القـرن الماضي، إلا أن بيجينق شعرت أخـيرًا أنها مستعـدة لتشييد منطقة تجارية مركزيـة خاصة بها، كتلك التـي تنتصب في خاصرة مانهاتن بمدينة نيويـورك الأمريكية، (La Defence) في باريـس و(Shinzuku) في طوكيو. وسوف يتم تقسيمها إلى مناطق تشيد فيها مكاتـب، شقق سكنية، مراكز تقنية، شبكة مواصلات ووسائل اتصالات لتسهيل مهمة الوكالات المالية والتجارية.

تعتـزم الجهـات المسؤولـة تشييد تلك المنطقـة التجاريـة، شرقي المنطقة التجاريـة، خارج مدينة بيجينـق القديمة، في مساحة قدرهـا أربعة كيلومترات مربعة. مع قدر قليل من الالتزام بالضوابط التاريخية التي تحمي وجه العاصمة

المعماري، ومرونة القوانـين المناطقية التي تتعلق بارتفاعات المباني. وهي قادرة على توفير الطاقة اللازمة للاستجابة لمتطلبات مستثمريها المتصاعدة.

وسعيًـا لتطوير المنطقة اليـوم لتصير منطقة تجارية مركزية كما أريد لها، صـارت مقرًّا لـ (70%) من إجمالي المـوارد الأجنبية في كل المدينـة، بالإضافة لمناطق السفارات الأجنبية الثلاث. كما نقلت إليها أكثر من (60%) من الوكالات الأجنبيـة في المدينـة، ومـا يزيـد علـى (50%) من فنـادق الخمسـة نجوم مثل (Hyatt)، (St.Regis)، (Holiday Inn) (Shangri-la)، (Sheraton)، (Hilton) و(Marriot).

قـد بلغ عدد الشركات التي اتخذت منها مقرًّا نحو (1.750) شركة، بينها (457) شركة متحدة متعددة الجنسية، (570) مكتب تمثيل تجاري، (150) بنكًا أجنبيًّـا وشركات تأمين ووكالات، بالإضافة لـ (192) مكتبًا لخدمات السمسرة. كمـا تشغل التسهيـلات والتجهيـزات الأساسية للأعمال القائمـة أكثر من (3) ملايين كيلومتر مربع، تشمل تجهيزات شركات عملاقة، كمركز الصين التجاري العالمـي، (Motorola Plaza)، مركز (HP Plaza)، (Kerry) التي تحتضن مئات الشـركات المتعـددة الجنسيات والـوكالات الماليـة، مثـل، (HP)، (Motorola) (Samsung)، (Ford)، مجموعة (UBS AG)، (BNP Paris – bas). واليوم تعمل (160) شركة بين أفضل (500) شركة عالمية في بيجينق. أنشأت أكثر من (120) شركة منها، مكاتب لها في المنطقة التجارية المركزية والمناطق المحيطة بها.

تيانشين:

تعد مدينة تيانشين الساحلية إحدى البلديات الأربعة على مستوى المقاطعة التـي تتبع الحكومة المركزية مباشرة، بالإضافة لبيجينق، شانغهاي وشونقكنق، كمـا تعد أحد الأجـزاء المندمجة التي تشـكل اقتصاد خليج بوهـي. وقد قدرت

مساهمتها في الدخل القومي عام 2005م بـ (45.8) بليون دولار، وظلت تزيد بمعدل (14.5%) سنويًّا. كان نصيب الفرد منها (8.000) دولار سنويًّا تقريبًّا. كما بلغ مخزونها من النفط، مع منطقة داقانق التي تحتوي على حقول نفط مهمة، بليون طن.

وكثالث أضخم مدينة صينية صناعية بعد شانغهاي وبيجينق، سجلت مدينة تيانشين أعلى نسبة نمو في الناتج القومي (12%) عام 2001م، بين كل المقاطعات والبلديات. واحتل ناتجها الصناعي المرتبة الثالثة بين سائر مدن الصين خلال الثلاثة أرباع الأولى لعام 2002م. وتشكل السيارات، الإلكترونيات، التعدين والبتروكيميائيات، عماد صناعتها الاقتصادية.

من جهة أخرى، شهدت تيانشين خلال السنوات القليلة الماضية، عجلة تنمية سريعة في مجال الصناعات التقنية المتطورة، ولا سيما في مجالات تقنية المعلومات، التقنية الأحيائية (*)، الطب، المواد الجديدة والطاقة الحديثة. وبلغ دخلها من الصناعات التقنية المتطورة نحو ثلث إجمالي إنتاج البلدية الصناعي.

لقد صارت تيانشين بفضل استثمارات شركة موتورولا الضخمة في منطقتها المخصصة لتنمية الاقتصاد والتقنية، أضخم قاعدة لإنتاج أجهزة الهاتف المحمول. ويعتقد أن نصف كمية الهواتف المحمولة المستخدمة حاليًا في الصين قد صنعت فيها. وحسبما يتم تداوله من أخبار، سوف تستثمر موتورولا مبلغ (1.9) بليون دولار أمريكي إضافي خلال السنوات القليلة القادمة لبناء مركز لتصنيع المواد شبه الموصلة للتيار الكهربائي، بالإضافة لمركز إنتاج أجهزة الهاتف والتلغراف لتزويد آسيا في تيانشين.

(*) **التقنية الأحيائية**: شعبة من التقنية تعنى بتطبيق المعطيات البيولوجية والهندسة على المشكلات المتعلقة بالإنسان والآلة (المترجم).

التفاوض في العاصمة وما حولها:

عرف المفاوضون الذين ينحدرون من منطقة بيجينق (داخل الصين) بنظرتهم البيروقراطية الإمبريالية، وقد أدى هذا إلى فقر المنطقة الشديد في مجال الإبداع أو ما يطلق عليه الصينيون «التفكير خارج الإطار». وفي حقيقة الأمر، يهتم الصينيون في البداية بتحديد إطار عملهم، ثم لا يفكرون مطلقًا بعد ذلك في التفكير خارج حدود هذا الإطار الذي رسموه. فمن خلال ما أجريناه من دراسات حول أسلوب بيجينق/ تيانشين في المفاوضات، وجدنا أنهم يولون التركيز على الأسئلة اهتمامًا منقطع النظير. كما يتميز أسلوبهم أيضًا بفترات الصمت المتكررة من حين لآخر، والتركيز على التواصل غير المباشر، الذي يشتمل على استخدام محدود لعبارات قصيرة مثل «لا» و«أنت» مقارنة بكل الثقافات في العالم تقريبًا. وتجدر الإشارة هنا للتحذير من تنامي ظاهرة تهافت المديرين من جميع أنحاء العالم للعمل في العاصمة وما حولها، بسبب انتشار مثل ذلك الأسلوب في المفاوضات.

شانغهاي:

تعرف كل من مدينة شانغهاي وهونغ كونغ على مستوى العالم أنهما مراكز تجارية واقتصادية رائدة في آسيا. وقد شاعت سمعة شانغهاي بشكل أساس قبل اندلاع فتيل الحرب العالمية الثانية، عندما كانت تعد إحدى أهم الدول المفتوحة والآمنة في أرض كانت تشهد اضطرابًا واهتياجًا عظيمين على الدوام، فعرفها بعض الناس بـ «جنة المغامرات».

أما هونغ كونغ، فقد ظهرت على المسرح العالمي بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، كواحدة من أعظم معجزات آسيا الاقتصادية، وأكثر اقتصاد حر في العالم. ويمكن القول إن صعود نجم هونغ كونغ يعزى إلى حد ما، لتدهور شانغهاي الذي بدأ في مطلع خمسينيات القرن الماضي إثر بداية التجربة الشيوعية في الصين.

لكـن على الرغم من ذلـك، كانت إنجازات شانغهـاي الاقتصادية المثيرة للدهشـة والإعجـاب سعيًـا لتصير مركـزًا اقتصاديًـا وماليًا إقليميًـا، مرهقة لأعصـاب خبراء الاقتصاد في هونغ كونغ الطموحـين، الذين بحثوا آثار التنمية في شانغهاي – مع أعضاء منظمة التجارة العالمية – على الوضع الاقتصادي في هونغ كونغ. وقد تملكهم الذعر وسيطر عليهم القلق على الرغم من أن مساهمة هونغ كونغ في الناتج القومي تساوي ثلاثة أضعاف مساهمة شانغهاي تقريبًا، في حـين يزيد معدل الدخل القومي للفرد الواحـد فيها على (16) ضعفًا عن مثيله في شانغهاي. كما أن تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى هونغ كونغ خلال عـام 2001م، كان خمسة أضعاف تلك التي يممـت وجهها شطر شانغهاي. وقد تمت كل تلك الإنجازات بعدد سكان يقل عن السبعة ملايين نسمة، في حين يزيد عدد سكان شانغهاي على الستة عشر مليون نسمة.

علـى صعيد آخر، تعد شانغهاي التي سوف تستضيف المعرض العالمي لعام 2010 م، إحـدى الأربع بلديات على مستوى المقاطعة التي تتبع مباشرة للحكومة المركزيـة، كمـا تعد مركـز الصين التجاري والمـالي والتاريخي. يشـكل سكانها (1.3%) فقـط من إجمالي سكان البلاد. في حين لا تزيد مساحتها على (1%) من مساحة الصين. وتسهم بـ (5%) من إجمالي الدخل القومي، أما مساهمتها في مجال الصناعة فتبلغ (8%) من إجمالي الدخل القومي للصناعة، وبها أكبر ميناء بحري في البلاد، تبلغ سعته السنوية عشرة ملايين (TEUs) من البضائع.

وقـد سجل اقتصادهـا معدل نمو بلـغ (11.1%) "بزيـادة (9.9%) عن معـدل نمـو الاقتصاد القومـي"، وقد بلغ حجـم تبادلها التجاري مـع الولايات الأمريكيـة المتحدة (114) بليون دولار أمريكي عـام 2005م، محققًا بذلك نموًّا مضطـردًا للعام الرابع عشر على التـوالي. وقد صار ميناؤها أكثر موانئ العالم حركـة ونشاطًـا فيما يتعلـق بنقل البضائـع، إذ بلغ وزن البضائـع المنقولة عبره (443) مليون طن سنويًّا.

من نـا حية أخرى، حققـت شانغهاي خلال العقد الأخـير بنية اقتصادية أساسيـة. وخفضت القيمة المضافـة على منتجاتها الصناعيـة بشكل ملحوظ، خاصـة فيما يتعلـق بصناعـة المنسوجات والصناعـات الثقيلـة؛ لأن كثيرًا من الشركات أعادت انتشارها خارج شانغهاي. وعلى الرغم من أن القيمة المضافة علـى الصناعـات لا تزال تشـكل عبئًا علـى معظم العمالـة الصناعيـة، إلا أن شانغهـاي قد حققت تقدمًا معتبرًا في تطوير صناعـة تجميع السيارات وغيرها مـن الصناعات التقنيـة المتطـورة، كصناعـة الحاسوب، معـدات الاتصالات والدارات المتكاملة (*).

لقد ساهم اقتصاد الصين المتنامي وانضمامها إلى منظمة التجارة العالمية (WTO) في دعم موقف شانغهاي بوصفها مركزًا تجاريًّا وماليًّا إقليميًّا. ويعزى نصف الناتج القومي للمدينة لتطور الخدمات المالية الصناعية كالبنوك، البيع بالتجزئة، التمويل، التجارة، التأمين والعقارات.

إن شانغهاي تمثل وجهة أساسية للاستثمارات الأجنبية المباشرة. إذ تعتلي قمـة القائمة في جـذب الاستثمارات الأجنبيـة في الصين. أما هونـغ كونغ فهي أضخم مورد وأهمه لجذب استثمارات ما وراء البحار المباشرة في شانغهاي.

ومـن المستثمريـن الرئيسـين الآخريـن في شانغهـاي: اليابانيـون، الأمريكيـون، الكوريـون الجنوبيـون والألمـان. كمـا سجلـت كثـير مـن الشـركات العالميـة متعـددة الجنسيـات مثـل: (Ex)، (Mitsubishi)، (General Motors)، (Hitachi)، (Siemens)، (Toyota Motor)، (General Electric)، (xon)، (Volvo)، (Bosch)، (Samsung)، (BMW)، (Toshiba)، (Fiat)، (Sony)، (Xerox)، (Cannon)، (Alcatel)) و(LG)، حضورًا مميزًا في شانغهاي.

(*) **الـدارة المتكاملـة**: دارة إلكترونيـة، تشـكل عناصرها بطريقـة كيميائية، على قطعة من مادة شـبه موصلة (المترجم).

في مطلع تسعينيات القرن الماضي، وجدت شانغهاي في افتتاح منطقة بودونق وتطويرها، فرصًا جديدة لتحقيق مزيد من النجاح. فتمكنت خلال عقد واحد فقط من إعادة تشكيل ذاتها وتعديل صورتها، من قاعدة للصناعات التقليدية، إلى مركز تجاري حديث. كما يمثل تطوير مناطق ليوشيازوي، ويقاوكيا وشنقكيا اليوم أسماء مراكز مالية، تجارية وصناعية لامعة على التوالي.

معرض شانغهاي العالمي لعام 2010م
وما يعنيه من فرص تجارية:

تقدر استثمارات شانغهاي في مشروعات المعرض العالمي الذي سوف يقام على أرضها عام 2010م، بثلاثة بلايين دولار أمريكي، (43%) منها تأتي من موارد الدولة، (36%) من الشركات و(21%) من البنوك. وتبلغ مساحة المعرض (240) هكتارًا تستضيف جناحًا صينيًّا، أجنحة أخرى عالمية، أجنحة متحدة، مركز مؤتمرات وقاعة طعام عامة. وقد خصص مكان في بودونق لحفل الافتتاح، تبلغ مساحته (3.4) كيلومتر مربع.

لقد أظهر استفتاء أجري على طريقة غالوب(*) أن عدد الذين سوف يفدون إلى شانغهاي، بمن فيهم الزوار الذين يرغبون في مشاهدة الأماكن الأثرية والسياحية ورجال الأعمال، يقدر بسبعين مليون شخص خلال فترة المعرض التي تمتد من شهر مايو حتى شهر أكتوبر من عام 2010 م. وإن كان (2%) من هؤلاء الزوار يأتون من وراء البحار، فإن هذا يعني أن هنالك حاجة إلى رحلات جوية لـ (2.8) مليون زائر. وفي حال اضطرار (20%) من الزوار المحليين إلى السفر بالطائرة، تزداد الحاجة لـ (26.8) مليون تذكرة طيران. وعليه، لا بد لمطارات شانغهاي من استيعاب نحو (30) مليون مسافر خلال تلك

(*) غالوب، جورج هوارس (1901 – 1984م): عالم إحصاء أمريكي أنشأ معهدًا يعنى باستطلاع الرأي العام، في مختلف القضايا عن طريق الإستفتاء (المترجم).

الأشهـر الستـة التي يقام فيها المعرض. ومن أجل تلبيـة هذه الحاجة، لا بد من التعجيل بتوسعة مطار بودونق الدولي الذي اكتمل العمل فيه حديثًا.

وينتظـر أن يهيئ المعرض فرصة أعمال تجاريـة عالمية كتلك التي أتاحتها إقامـة الألعاب الأولمبيـة في بيجينق عام 2008م، من مشاريـع معمارية، إدارية، مالية، سياحية، استثمارات فنادق، بيع وحماية بيئية وغيرها من مشروعات.

دلتا نهر يانقتيز.. أضخم دائرة اقتصادية في شانغهاي:

على الرغـم من أن ثلثي السكان تقريبًا ما زالوا يعيشون في مناطق ريفية، يشـكل عـدد سكان المدن اليـوم ثلث السـكان في الصين، ووفق معيـار التحضر العالمـي، نجد أن الصين تسير بحظـىً حثيثة في اتجاه التحول لاقتصاد حضري وصناعي تام.

بعـد عقدين من نمو اقتصـادي غير مسبوق، شهـدت الصين انبثاق فجر ثلاث مدن حضرية نجحت في تطوير مواردها الاقتصادية من خلال تكاملها في العمالة والمهمات. كما عملت تلك المدن الحضرية كقوة دافعة لتنمية اقتصادها الإقليمي الخاص. وتضم حاضرة بيجينق مدينتي بيجينق وتيانشين العملاقتين اللتـين يبلغ مجموع سكانهما (40) مليون نسمـة. أما حاضرة دلتا نهر يانقتيز، فتتمركـز حول هونـغ كونغ وقوانقـزو، ويبلغ عـدد سكانها (21) مليـون نسمة. أمـا أضخم حاضرة فهي منطقـة شانغهاي العظمى في دلتا نهـر يانقتيز، التي يبلـغ عدد سكانها (70) مليون نسمة، بمـا فيها مدن كثيرة مختلفة الأحجام في زيشيانق وشيانقسو المجاورتين.

أما حاضرة نهر دلتا يانقتيز، فتعد إحدى أضخم ست مجموعات حضرية في العـالم، التي تشمل بالإضافة إليها: مدينة نيويورك – بوسطن – والعاصمة واشنطن، شمال شرقي الولايات الأمريكية المتحدة، تورنتو- شيكاغو في منطقة

البحيرات العظمى، طوكيو – يوكوهاما – أوساكا في اليابان، لندن – مانشستر في المملكة المتحدة. وأمستردام – رورقبيت – باريس في شمال غربي أوروبا.

من ناحية ثانية، تنقسم منطقة شانغهاي الضخمة إلى أربعة أقسام مشتركة ومتنافسة، مع بقاء قلب المدينة ممثلًا مركزًا عامًّا جاذبًا للأعمال من مختلف الأقاليم في دلتا نهر يانغتيز إلى المركز، مشكلًا ذراعًا رابعًا:

- منطقة طريق قصير يجتازه السائق في نصف ساعة، تشمل بشكل أساس كل مناطق بلدية شانغهاي، بما فيها منطقة بودونغ الجديدة.
- منطقة طريق يجتازه السائق في ساعة كاملة، وتغطي مدن سوزو المجاورة في مقاطعة شيانغسو (71.1 مليون نسمة) وشياكسنغ في مقاطعة زيشيانغ (41.1 مليون نسمة).
- منطقة طريق يجتازه السائق في ساعتين اثنتين، تشمل المدن البعيدة – نانتونغ، وكسي وشانغزو في مقاطعة شيانغسو، وهانغزو وننغبو في مقاطعة زيشيانغ.
- منطقة طريق يجتازه السائق في أربع ساعات، تشمل مدينة نانشينغ التي تمثل عاصمة مقاطعة شيانغسو.

تخدم هذه الأذرع الأربع كل سكان دلتا نهر يانغتيز الذين يبلغ عددهم (70) مليون نسمة، وفي حين نجد أن أعلى نصيب للفرد من الناتج القومي على مستوى البلاد يأتي من شانغهاي، يزيد نصيب الفرد من الناتج القومي في شانغهاي، شيانغسو وزيشيانغ على خمس نصيب الفرد من الناتج القومي –أكثر من (240) بليون دولار أمريكي– على مستوى البلاد. أما إجمالي الاستثمارات الأجنبية المباشرة في كل من شانغهاي، شيانغسو وزيشيانغ، فتزيد على ثلث إجمالي الاستثمارات الأجنبية المباشرة في جميع البلاد – (12) بليون دولار أمريكي.

منطقة بودنق الجديدة:

تقع بودنق على الضفة الشرقية لنهر هوانقبو الذي يجري عبر الجزء الحضري من شانغهاي، وتبلغ مساحتها (533.44) كيلومترًا مربعًا، ويقطنها (1.68) مليون نسمة. وهي كمعجزة شنزين تمامًا – التي تحولت من قرية صيد للسمك، إلى حاضرة عملاقة خلال عقد واحد فقط. إذ تطورت بودنق خلال تاريخها الذي لم يتجاوز خمس عشرة سنة اقتصاديًّا وحضريًّا بشكل مثير للدهشة. ليس هذا فحسب، بل أصبحت تجسد صورة مصغرة لشانغهاي الحديثة، وسارت أبعد من ذلك، لتجسد رمز الإصلاح في الصين وتمثل حافز الانفتاح.

يمكننا إدراك مدى تلك القفزة النوعية بسهولة شديدة إذا علمنا أن ناتج بودنق القومي المحلي في بداية مراحل تنميتها عام 1990 م، بلغ بالكاد (750) مليون دولار أمريكي. ليقدر عام 2005 م، بأكثر من (25) بليون دولار. وزاد عدد المشروعات الاستثمارية الأجنبية في منطقة بودنق الجديدة ليبلغ (8.000) مشروع، جذبت استثمارات تقدر بـ (40) بليون دولار أمريكي.

كان شعار «البنية التحتية أولًا» هو الإستراتيجية التي اتبعتها بودونق منذ بداية مراحل تطورها. فأنفقت منذ عام 1990م حتى اليوم (25) بليون دولار أمريكي في تأسيس البنية التحتية. إذ فرغت الآن من إكمال حزمة المشروعات الرئيسة كالجسور، شق القنوات، خطوط المترو، ميناء بحري عميق المياه ومشروعات الطاقة. كما تحسن مستوى الاستثمارات البيئية فيها بشكل ملحوظ.

بين عامي 2001 و 2005م، نجحت بودنق في تطوير «ثلاثة موانئ» (ميناء بحري، مطار وميناء جاف) و«ثلاث شبكات طرق» (سكة حديد، طرق سريعة وطرق ملاحية) و«ثلاثة أنظمة للطاقة» (الطاقة الكهربائية، الغاز الطبيعي والتدفئة المركزية) كمرتكز أساس للبنية التحتية.

في عام 1999م، أكملت بودنق المرحلة الأولى من مطارها الدولي لتشتغل في شهر أكتوبر من العام نفسه. كما فرغت من تنفيذ مشروع مدرج طوله (4.000) متر وصالة وصول مساحتها (250) ألف متر مربع. فبلغت السعة الاستيعابية للمطار اليوم (20) مليون مسافر و(750) ألف طن من البضائع سنويًّا. وتقضي الخطة بتنفيذ أربعة مدرجات تتسع لسبعين مليون مسافر في السنة.

ويشكل مركز بودنق العالمي للمعلومات، حجر الزاوية لميناء شانغهاي البري؛ لأنه يكون محور جمع المعلومات، تحليلها، تخزينها، تبادلها ونقلها، في شانغهاي. معتمدًا مختلف وسائل الاتصال، الألياف الضوئية، تقنية الحاسوب والأقمار الصناعية، موفرًا بذلك الاتصالات والمعلومات على مدار الساعة. وقد إكتملت الآن المرحلة الأولى من المشروع. وخصصت له بناية ارتفاعها (180) مترًا، ومساحتها (80) ألف متر مربع. وتشكل الأدوات المستخدمة في المبنى جزءًا من وسائل تسهيل نقل المعلومات في غرب شانغهاي كما هو الحال مع بقية أجزاء البلاد، بالإضافة للربط المباشر مع وسائل الاتصال العالمية، وهكذا يمثل مركز بودنق العالمي للمعلومات، قاعدة أساسية لتوفير المعلومات على طريق شانغهاي السريع.

من جهة أخرى، سوف تشكل ويقاوكياو منطقة الميناء الجديد في منطقة بودنق الجديدة (حاليًا تحت التشييد) مركز ميناء شانغهاي الجديد مستقبلًا. ويخطط لكي تبلغ سعة ميناء ويقاوكيا و(50.4) طن من البضائع سنويًّا، منها (5.25) مليون طن سعة حمولة الحاويات. وقد قسمت مراحل تطويره إلى أربع مراحل تكتمل بحلول عام 2020 م. وقد بدأ العمل حاليًا في المرحلة الرابعة، وبلغت العائدات (3) ملايين (TEUs).

مركز شانغهاي التجاري العالمي.. «مانهاتن الشرق»:

قـررت شانغهـاي تحويـل منطقة لوشيـازوي إلى منطقة تجاريـة مركزية خـلال عقد واحد من الزمن مجهـزة بكل ما يلزم. ويتوقـع أن يزيد حجم المال الـذي خصص للاستثمار في هـذا الغرض على (12.5) بليـون دولار أمريكي. وقـد تنافس علـى تصميمها مهندسون معماريون مـن (Richard Rogers Partnership) من المملكة المتحدة و (Dominique Perrault Associates) من فرنسا، و(Toyo Ito & Associates) مـن اليابـان و(Massimiano Fuksas Associates) مـن إيطاليـا. وسوف يتم اختيار أفضل العناصر مـن كل عمل لتشكل التصميم الأخير لشكل المركز التجاري.

مـن السهولة بمـكان إدراك الهدف مـن منطقة لوشيـازوي التجارية من خـلال نزعتها الشرقيـة تجاه صناعة الخدمـات المالية التي سـوف تتشكل من سبعـة أسـواق مالية – الأمـن، العقار، المستقبـل، المواهب، الحقـوق الفكرية، المجوهـرات والنشر. وينتظـر لسوق شانغهاي لـلأوراق الماليـة، أن تصير على المدى البعيد أكثر قوة من سوق هونغ كونغ وشينزين، بفضل ما تمتلكه شانغهاي مـن تنوع صناعي هائل، موارد اقتصادية متكاملة في دلتا نهر يانغتيز، حتى كل منطقـة وادي نهر يانغتيز التي تمتد عميقًا داخل منطقة الصين الخلفية، ودعم قوي من بيجينغ.

سوزو:

ظهـرت مدينـة سـوزو التي تقـع على بعـد ساعة واحـدة بالسيـارة غرب شانغهـاي بسرعـة شديـدة كواحـد مـن أهـم المراكـز الصناعيـة في الصين وأنشطتهـا. فحلت محل عاصمة المقاطعـة نانشيانق، التي تقع على بعد ساعتين على طريق قطار شانغهاي – نانشيانق السريع، لتشكل الرقم الاقتصادي الأول

في مقاطعة شيانقسو، وأهم مركز فيها للتجارة الخارجية. ومنذ نهاية القرن، تهافت المستثمرون من وراء البحار، خاصة عشرات آلاف الشركات التايوانية التي تصنع كل شيء، من البضائع الاستهلاكية اليومية حتى المنتجات التقنية المتطورة، إلى المدينة التي عرفت في السابق بصناعة الحرير فقط.

ليس ثمة شك في أن انخفاض التكلفة والارتقاء بمستوى الجودة في سوزو، قد ساهما بشكل فعال في نمو قطاعها الصناعي المدهش. الأمر الذي شجع مستثمرين كثر مثل فيليب شين (Philip Chen) رئيس شركة تايوانية لصناعة الإلكترونيات – تصنع معدات المسح الضوئي والمعدات البصرية – لنقل شركته من هسنشو قرب تايبيه، إلى سوزو؛ لأن ذلك يمكنه من تقليص النفقات بنسبة (8%) إلى (10%) من خلال بناء مصنع في سوزو. كما أن الحركة ووسائل النقل اللوجستي قرب تايبيه أكثر منها تعقيدًا عند سوزو.

لقد ظهرت سوزو من جديد كقاعدة متقدمة في صناعة التقنية المتطورة في الاقتصاد العالمي، وكانت على الدوام ضمن أهم عشر مدن في مجال التقنية. ولهذا ليس غريبًا أن تصنع شركة لوجتيش السويسرية العالمية ثلث حاجة العالم من فأرة الحاسوب الشخصي في سوزو، لكن ليس هذا كله أكثر من قمة الجليد فيما يتعلق بقدرات سوزو في مجال تقنية المعلومات في العالم. إذ تصنع المدينة تقريبًا كل أداة من شأنها تسهيل عمل الحاسوب، من الرقائق الدقيقة في قلب الحاسوب إلى الهياكل البلاستيكية التي تحمي معظم قطع التروس الإلكترونية.

لم تكتف شركة لوجتيش السويسرية العالمية بنقل مقرها إلى سوزو فحسب، بل ذهبت أبعد من هذا لتشجع مموليها التايوانيين على الانتقال إلى سوزو. فصارت تشتري الآن معظم احتياجاتها من الهيكل البلاستيكي لفأرة الحاسوب، الدوائر المدمجة المتكاملة وأسلاك الكيبل محليًّا من منطقة دلتا نهر يانقتيز. وقد أظهرت دراسة إحصائية حديثة أجراها اتحاد تايبيه للحاسوب

أن (90%) مـن الشركات التايوانية المتخصصـة في التقنية المتقدمة استثمرت في الأرض الرئيسة أو على الأقل تفكر في الاستثمار فيها، حيث يوجد الآن نصف مليون مهندس وإداري تايواني مع أسرهم يعيشون في منطقة شانغهاي – سوزو، وحاليًا تركـز الشركات التايوانية التي تعنى بصناعـة لوحة مفاتيح الحاسوب، استثماراتها في كل من كونشان وسوزو في مقاطعة شيانقسو.

انتبه حتى لا تقع في فخ مفاوضي شانغهاي:

اشتهـر مفاوضو منطقة شانغهاي في الصين بالمكر والدهاء وسعة الحيلة. إذ يمتـازون بالـود والانفتاح والكرم واللباقة، ويحرصـون دائمًا على بذل كل ما في وسعهـم للتأثـير فيك حتى لا ترى أي مـكان آخر في الصين غـير شانغهاي. فمـن وجهة نظرهم، كل شيء ممكـن – فهم أصحـاب ذكاء وعبقرية مبدعة. ولا سيما الأجيال التي نشأت وهي تتحدث لهجة أهل شانغهاي، فعرفت بالتعصب السياسـي والمكر والدهاء، مما جعل بعض الناس في الصين يصفهم بالأنانية، بـل حتى بالخـداع. لكن، بصرف النظر عن أي شـيء آخر، هم ناجحون، وهم فعلًا المجموعة التي تسيطر على الأعمال التجارية في الأرض الرئيسة... فانتبه. وربمـا كان من مصلحتك أن نلفت انتباهك هنا للعودة إلى عنوان الفصل الأول من هذا الكتاب، فقد يخدمك ذلك كثيرًا.

دلتا نهر بيرل:

تغطـي منطقة نهر بيرل العظمى، بما فيها هونغ كونغ وماكاو، مساحة قدرها (47) ألف كيلومتر مربع، يقطنها (21) مليون نسمة، ويشكل هذا العدد ثلث سكان المقاطعة كلها. وبمطلع القرن الحادي والعشرين، كان للدلتا ثلاث مدن تجاوز عدد سكان كل واحدة منها خمسة ملايين نسمة: هونغ كونغ، قوانقزو وشينزين. وخمس مدن أخرى، تجاوز عدد سكان كل واحدة منها المليون نسمة: زوهي، هيزو، فوشان،

زونقشـان ودونقوان، بالإضافة إلى مجموعة من المـدن يبلغ عدد سكان كل واحدة منها تقريبًا نصف المليون نسمة، أهمها: ماكاو، زاوكنق، شوند بانيو ونانهي.

لقـد أصبح إقليم دلتا نهر بـيرل في مقاطعة قوانقدونق (70 مليون نسمة) ورشـة العـالم لصناعة تقنيـة المعلومات، وإحـدى أهم القواعـد الصناعية في العالم. وتمثل المنطقة الاقتصادية في الدلتا محور اقتصاد المقاطعة، إذ تساهم بـ (80%) من إجمالي إنتاجها الوطني. وتعد معظم المدن التي تشارك في الإنتاج الوطني هـذا، كمدينتي شنشين ودونقوان بين المدن الصينية التي تحقق أقصى عائدات من التبادل التجاري الخارجي.

نتيجة للاستثمارات الأجنبية الهائلة، تطورت صناعات قوانقدونق بسرعة شديـدة، ولا سيمـا في المنطقة الاقتصاديـة للدلتا. وتجدر الإشـارة هنا إلى أن قوانقدونق قد صارت اليوم أهم مركز تصدير للصناعات للمستثمرين الأجانب، خاصة من هونغ كونغ وتايوان. فاحتلت المرتبة الأولى من حيث القدرة على جذب الاستثمـارات الأجنبية المباشرة بين جميع المحافظات والبلديات، إذ حازت الآن ثلـث تلك الاستثمارات في طول البـلاد وعرضها. وتنشط الاستثمارات الأجنبية في قوانقدونق بشكل أساس في المجال الصناعي (70% من إجمالي الاستثمارات الأجنبيـة) خاصة صناعة الحاسوب وملحقاته، منتجات علم الأحياء التطبيقي وعملياته، المنتجـات الميكانيكية والإلكترونية، تكرير المـواد الكيميائية وتنقيتها والصناعات التقليدية كصناعة اللعـب والملابس. وتلعب الشركات الإستثمارية الأجنبيـة دورًا مهمًّا في اقتصاد قوانقدونق، إذ تسهم بنحو (60%) من إجمالي صادراتها الصناعية.

تمثل هونغ كونغ أهم مصدر للاستثمارات الأجنبية المباشرة في قوانقدونق. أما المستثمرون الآخرون فيها فهم التايوانيون، اليابانيون، الكوريون الجنوبيون، السنغافوريون والأمريكيون. ولهذا فهي تشهد اليوم

حضورًا كبيرًا لكثير من الشركات العالمية الرائدة المتعددة الجنسيات مثل:

(IBM)، (Intel)، (Hitachi)، (Samsung)، (Sony)، (General Electric) (P&G)، (Amway)، (Nokia)، (ICI)، (Ericsson)، (Siemens) ، (Panasonic)، (Bosch)، (Toshiba)، (Sanyo)، (Nestle)، (pepsi)، (Coca – Cola) & (Mitsubishi).

شنشين:

شنشين مدينة مزدهرة الآن، محادة لهونغ كونغ، كانت حتى قبل عشرين عامًا فقط مجرد قرية يعيش أهلها على صيد الأسماك. أما اليوم فقد احتلت مكان عاصمة المقاطعة (قوانغزو) في ريادة الاقتصاد المحلي. في عام 1980م، صنفت شنشين كأول منطقة اقتصادية صينية خاصة. وكان عدد سكانها الدائمين يومئذٍ (300) ألف نسمة فقط. أما اليوم، فقد وصل العدد إلى (7) ملايين نسمة، الأمر الذي يعكس تميزها وجاذبيتها كقاعدة صناعية وملتقى طرق مهم.

في عام 2005م، تجاوزت مساهمتها في الناتج القومي (120) بليون دولار أمريكي، بزيادة (15%) عن معدل مساهمتها في العام السابق. وقد حقق اقتصادها في الفترة بين عامي 2001 و2005م متوسط نمو بلغ (16.3%) سنويًّا. أما ميناؤها البحري فقد احتل المرتبة الرابعة كأضخم ميناء في العالم يشهد حركة نقل كثيفة، إذ بلغ عدد الحاويات التي تصله سنويًّا أو تغادره (13.6) بليون حاوية.

صحيح.. تعد شنشين قاعدة صناعية لعدد من الصناعات التقليدية، لكن هذا لم يمنع ظهور صناعات جديدة ذات تقنية عالية، شكلت أحد محاور ارتكازها الاقتصادية المهمة منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي. حتى صارت المنتجات الصناعية الجديدة والمنتجات الصناعية المتقدمة، تشكل

نصف عائدات المدينة من القطاع الصناعي تقريبًا، و(20%) من إجمالي الناتج القومي، أعلى من المدن الصينية الرئيسة الأخرى، فاحتلت بذلك أول القائمة بين جميع مدن البلاد. وتشكل المنتجات الصناعية الإلكترونية وأدوات الاتصالات أكثر من (90%) من إجمالي دخل شنشين من الصناعات الجديدة والصناعات التقنية المتقدمة.

لقد أفادت شنشين كثيرًا من قربها من هونغ كونغ التي تعد مركزًا عالميًّا للخدمات. وكقاعدة صناعية لطائفة واسعة من الصناعات، تستطيع شنشين استخدام هونغ كونغ رصيفًا تجاريًّا لتوسيع رقعة سوقها العالمي. ومن الناحية الأخرى، يمكن للشركات الأجنبية تزويد شنشين بالمنتجات الصناعية عبر هونغ كونغ أيضًا.

التفاوض في الجنوب المفعم بالحيوية:

ظل الصينيون في جنوبي البلاد عرضة على الدوام للتأثيرات الأجنبية. وقد أدى هذا إلى أسلوب خاص في العمل وقدرة على الابتكار والإبداع، مما جعل المفاوضين يوصفون بالأمانة والصراحة والجرأة والإقدام، وأقل جشعًا من مقاولي شانغهاي، غير أنهم تجار أذكياء، مولعون بتحقيق الثراء السريع، ويشاطرون أبناء عمومتهم من الكانتونيين في هونغ كونغ لهجتهم الفظة الغنية المعقدة، تمامًا كطعامهم.

الثمانمائة مليون صيني الآخرين:

لقد تحدثنا حتى هذا الفصل عن ثلث سكان الصين فقط – سكان الساحل، المدن الصناعية والمجتمعات الأكثر ثراءًا. لكن هنالك الريف الصيني الذي لم يره غير عدد محدود جدًّا من الغربيين. ذلك هو الجزء من الصين الذي لم يشارك مطلقًا في الاقتصاد العالمي. ولم تول الحكومة المركزية أولئك

النفـر كثير اهتمام حتى وقت قريب. إذ لم يـزد نصيب هؤلاء الثمانمائة مليون شخـص علـى (9%) فقط من ميزانيـة الدولة المركزية، أي نحـو (42) بليون دولار أمريكـي عـام 2005م، أي لم يـزد نصيب الفرد في تنميـة الطرقات، الماء والطاقـة، المدارس والمستشفيات عـن (55) دولارًا أمريكيًّا. أما الضرائب فقد خفضت بمعدل (19) دولارًا فقط في العام للفرد الواحد.

مـع اتساع الهـوة في التفاوت الاقتصـادي وإظهار تقنيـة الاتصالات لتلك الفجـوة الكبيرة بين طبقات المجتمع في البـلاد، اندلعت موجة الاضطرابات في الريـف. فمشاكل التنمية في هذا المجتمع الذي يمثـل ثلثي سكان الصين، هائلة بحـق. ولهذا فإن احتمال حـدوث خلافات بين مختلف فئـات المجتمع أمر مثير للرعـب بكل صـدق. فربما كانـت الفرص المتاحـة للشـركات الأمريكية هناك مختلفة اختلافًا جوهريًّا عن تلك التي تتاح لها في الساحل الشرقي.

مـن جهة أخـرى، تتمحـور التنميـة في الأقاليـم الوسطـى والغربية حول المـدن الكبيرة كمدينة شونقكنق، وهان، شانقشـا، شنقدو وكومنق. وتقع مدينة شونقكنق التي كانت تمثل العاصمة الصينية في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبلغ تعداد سكانها اليوم (31) مليون نسمة، في أعلى نهر يانقتيز على بعد (1.500) ميـل من شانغهـاي. وقد بلغ متوسط دخل كل واحد مـن سكانها نحو ألف دولار في العـام الماضـي، مقابـل (250) دولارًا فقط للفرد في ريفهـا المجاور. غير أن الحكومة لا تنفق كثيرًا من ذلك الدخل المرتفع في خدمة مصالح المنطقة. وبدلًا مـن اضطلاع الحكومة بدورها في هذا المجال، نجد أنها تركت المجال للشركات الأجنبيـة المتعددة الجنسيات لتمويل المشروعات التنموية. فمثلًا، أنشأت شركة (Petroleum) البريطانية مصنعًا للمنتجات الكيميائية في المنطقة بتكلفة مائتي مليـون دولار أمريكـي، بدأت شركـة (Volvo) إنتـاج سياراتهـا ماركة (S40) هنـاك، كما شيـدت شركة (Yamaha) مصنعًا لإنتـاج الدراجات النارية هناك

أيضًـا. وما زال هناك الكثير الذي يجب عمله. لكن، بسبب ارتفاع معدل الأجور نتيجـة نقص الأيدي العاملة المطلوبة في منطقة الساحل الشرقي، سوف يجذب "السوق" التنمية باتجاه الغرب[3]. لكن "بأي سرعة؟" يبقى هذا هو السؤال المطروح اليوم.

لقـد بدأت الصناعـات التي تتطلب عـددًا كبيرًا من العمـال، كصناعات النسيـج والسلع الإلكترونيـة الاستهلاكية، هجرتها صوب الغـرب. ولا سيما أن مقاطعات وسط الصين مثل هيونـان، هيوبي وجيانكسي ذات مساحات شاسعة بحجـم فرنسا، إيطاليا وإسبانيا على التوالي. كمـا أن البنية التحتية آخذة في التطور هناك بخطوات حثيثة، إضافة لما تحظى به القوى العاملة من تعليم جيد.

وعلـى الرغم مـن الصعوبات الهائلة التـي تواجهها الصين اليـوم، إلا أن الرئيـس هـو (Hu) ورئيس الحكومة وين (Wen) عازمـان على تحسين ظروف حيـاة أولئك الثمانمائة مليـون نسمة من سكان الريف، الأمـر الذي يبعث على التفاؤل.

يبدو أن بوصلة التركيز على تنمية المناطق الساحلية قد اتجهت الآن ناحية تطويـر أطـراف البلاد النائية عن المدن أو المراكـز الرئيسة، مع التصميم على إنجاز المهمة بأسرع ما يمكن. أما إن كانت الصين سوف تنجح أو تفشل في هذا المجال، فالأمر يعتمد بالدرجة الأولى على كيفية تفاعل المستثمرين الأجانب مع مختلـف العوامل، كانخفاض التكاليف ومعدل الأجور، بالإضافة لمدى ما تقدمه الحكومة من حوافز.

الهوامش:

1 – ويليم فان كيمينيد (Willem Van Kemenade) (China ،Hong Kong ،Tai-wan ،Inc.: The Dynamics of a New Empire) (نيويورك: دار راندوم، طبعة منتقاة، 1998م) ص 315.

2 – كينيشي أوهمي (Kenichi Ohmae) (The China Impact) (تايبيه: مجلة الكومنولث، طبعة صينية مركبة، 2002م) ص 131.

3 – ياو- هوا شين (Yao – Hwa Shen) (Chinese Industries Will Move Upward and Westward) "هجرة الصناعات الصينية باتجاه الداخل وناحية الغرب" مجلة الأعمال الأسبوعية (تايبيه)، غرة أغسطس 2005م، ص 92 – 93.